الإطناب وأثره
في تقرير المعنى
دراسة في صحيح القصص النبوي

إعداد

د/ عبدالله محمد سليمان حسيني

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

"الإطناب وأثره في تقرير المعنى- دراسة في صحيح القصص النبوي"

إعداد

د/ عبدالله محمد سليمان حسيني

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

ملخص البحث

يحاول هذا البحث أن يظهر ما يشارك به الإطناب في تحقيق هدف البيان النبوي بتمكين الحقائق الدينية في نفوس المخاطبين، وإحكام عقدتها، وإبرام مرائرها، والبعد بهم عن معترك الظنون.

وقد عني الأسلوب النبوي في الحديث الشريف بصور الإطناب المختلفة؛ لأهميتها في إبلاغ الرسالة المحمدية للناس كافة، وتوصيلها وضاحة ناصعة، لا تخالطها شبهة، ولا تلابسها غمة؛ ولذا غدا الإطناب – وخاصة في القصص منه– عنصراً فاعلاً في تركيب ذلك الخطاب بما يسهم في إنتاج دلالته، كما أنه صار وسيلة رئيسة لتحقيق غايات تعليمية سامية، وأهداف تربوية جليلة.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها:

أولاً: للإطناب – بصوره المختلفة– أثر بارز ودور واضح في تقرير المعنى المراد في صحيح القصص النبوي، الموجه إلى المسلمين الذين آمنوا بمبدعه – صلى الله عليه وسلم– وصدقوه قولاً وعملاً.

ثانياً: كثر ورود الإيضاح بعد الإبهام كثرة لافتة في صحيح القصص النبوي، وهذا أمر يرجع إلى طبيعة الأسلوب القصصي؛ لأن الإبهام مفعم بالإثارة

للمتلقي وموقظ لفكره فيتطلع إلى إيضاح ما أبهم، وعندئذ يأتي الإيضاح فيتقرر المعنى في ذهن هذا المتلقي ويقع موقعه.

ثالثاً: ورد التكرار في صور متنوعة لإبراز المعنى وتأكيده وتقريره في النفوس، ويمثل هذا الأسلوب وسيلة من وسائل الدعوة؛ إذ كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يستعمله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، فيرى ضرورة توكيدها، وترسيخها في الأذهان، إلى غير ذلك من النتائج المبثوثة في صلب هذا البحث والمدونة في خاتمته.

Redundancy and its Impact on the Determination of Meaning: A Study in the True Stories of the Prophet

Set up

Dr. Abdullah Mohammed Suleiman Hosseini

Teacher of eloquence and criticism at the Faculty of Arabic Language in Zagazig

Abstract

This research attempts to show how redundancy contributes in achieving the goal of the Prophet's statement by empowering the religious truths in the hearts of the listeners, tightening their complexity, recognizing their tiny details, and distancing them from the battle of suspicions. The prophetic style of the Hadith gave importance to the various images of redundancy; its significance in communicating the message of Mohammed to all people, and delivering it clearly and brightly without any suspicion or grief. Therefore, redundancy - especially in the stories – has become an active factor in the composition of that speech in order to contribute to the production of its significance; it has also become a major means to achieve sublime educational ends and great pedagogical goals.

This study has come up with several results, including:

First: redundancy, in its different forms, indicates a prominent impact and a clear role in determining the intended meaning of the true stories of the Prophet which are addressed to Muslims who believed in its creator - peace be upon him - and believed him in word and deed.

Secondly, the ambiguity is remarkably followed by a lot of clarification in the true stories of the Prophet, and this is due to the nature of the story style; for the ambiguity creates curiosity and excitement that make the listener eager to get clarified. Hence when the clarification occurs, it creates an impact

Third, repetition occurred in various forms to highlight, affirm and determine the meaning in the souls of the people, and this method represents a means of advocacy; the Prophet used it in serious

issues that require a lot of emphasis and consolidation in the minds of the listeners. Other findings are published at the heart of this research and recorded in the conclusion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفوته من خلقه سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه صلاة وسلاما دائمين دوام الليل والنهار، وبعد:

فإن السنة النبوية الشريفة تمثل المصدر الثاني للتشريع – بعد القرآن الكريم– وهي كل ما صدر من الرسول – ﷺ – من قول، أو فعل، أو تقرير، وجاءت لتبين ما في القرآن، ففصلت مجمله، أو أوضحت مشكله، أو قيدت مطلقه، أو خصصت عامه؛ ومن ثم تبوأت السنة رفعة لا تُطاول، وجلالة لا تُدانى بين ألوان البيان وفنون التعبير بعد القرآن الكريم.

ويبدو أن بلاغة القرآن واستجلاء دقائقها، والكشف عن وجوه الإعجاز فيه، قوضت أطناب عزم كثير من أصحاب الهمم، واستغرقت وسعهم، وصدفتهم عن صرف أعنة الفكر في هذا الميدان البديع، ونفض سبل الطلب إليه.

وقد عني الأسلوب النبوي في الحديث الشريف بصور الإطناب المختلفة؛ لأهميتها في إبلاغ الرسالة المحمدية للناس كافة، وتوصيلها وضاحة ناصعة، لا تخالطها شبهة، ولا تلابسها غمة؛ ولذا غدا الإطناب – وخاصة في القصص منه– عنصرا فاعلا في تركيب ذلك الخطاب بما يسهم في إنتاج دلالته، كما أنه صار وسيلة رئيسة لتحقيق غايات تعليمية سامية، وأهداف تربوية جليلة؛ لأجل الإبانة والتأثير والإقناع والتمكين في نفوس المخاطبين.

ومن ثم يحاول هذا البحث أن يظهر ما يشارك به الإطناب في تحقيق هدف البيان النبوي بتمكين الحقائق الدينية في نفوس المخاطبين، وإحكام عقدتها، وإبرام مرائرها، والبعد بهم عن معترك الظنون؛ ولذا جاء عنوان هذا البحث: "الإطناب وأثره في تقرير المعنى- دراسة في صحيح القصص النبوي".

وكان وراء اختياري لهذا الموضوع مقاصد عدة، أهمها:

١- عدم وجود دراسة بلاغية مستقلة – فيما أعلم- تناولت هذا الموضوع بالبحث والتحليل، والكشف عن دقائقه ونكاته في صحيح القصص النبوي.

٢- ملاءمة الإطناب – بأقسامه المختلفة- لأسلوب القصة حفزني على سبر أغوار هذا الفن، ودفعني لمحاولة الوقوف على شيء من أسرار بلاغته، ولطائف تراكيبه.

٣- انصراف كثير من أصحاب الهمم لاستجلاء بلاغة القرآن، والكشف عن وجوه الإعجاز فيه، دون صرف أعنة الفكر في هذا الميدان البديع، ونفض سبل الطلب إليه.

أما الخطة التي تناولها البحث بالدراسة والتحليل، فانتظمت في مقدمة، وسبعة محاور مترابطة ومنسجمة، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع .

- المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، والدافع إليه، وطريقة معالجته، والخطة التي اقتفيت أثرها وسرت على هديها، والمنهج المتبع في الدراسة.
- المحور الأول: الإيضاح بعد الإبهام.

- المحور الثاني: ذكر الخاص بعد العام وعكسه.
- المحور الثالث: التذييل.
- المحور الرابع: التكرار.
- المحور الخامس: الاعتراض.
- المحور السادس: الاحتراس.
- المحور السابع: التتميم.
- الخاتمة: ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.
- فهرس المصادر والمراجع: أودعته أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها وأفدت منها في هذا البحث.

وأما عن المنهج الذي سرت عليه فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يقوم على حصر مواضع الإطناب – التي وردت في صحيح القصص النبوي– ثم تبويبها و تصنيفها على حسب المحاور، ثم تحليلها تحليلاً بلاغيا يقوم على استكناه أسرارها واستبطان أبوابها، ومحاولة الكشف عن أثر التعبير بالإطناب في تقرير المعنى، ومدى إقناعه وتمكينه في نفوس المخاطبين.

وقد اعتمدت في تخريج القصص – محل الدراسة– على الأحاديث الصحيحة التي وردت في الصحيحين وفي غيرهما، حتى يتسع نطاق البحث؛ ليشمل كل القصص الصحيحة المروية عن رسول الله – ﷺ –.

وأخيراً فإذا وفقت إلى ما أهدف إليه فلله الفضل والمنة، وإن تكن الأخرى فحسبي أني بذلت الجهد صادقا محتسبا، والله أسأل التوفيق والسداد، فهو – سبحانه– الهادي إلى سواء السبيل.

د/ عبد الله مُحَمَّد سليمان

المحور الأول

الإيضاح بعد الإبهام

المحور الأول

الإيضاح بعد الإبهام

من الملامح الأسلوبية الكاشفة عن فنية البناء البلاغي للإطناب في صحيح القصص النبوي، وشكلت خصوصية واضحة خلال نصوصه، الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وفيه يتضح مدى التوافق والانسجام بين طبيعة الإطناب والمعنى والسياق الذي يساق من أجله.

فالإيضاح بعد الإبهام يزيل لبس الكلام قبله، ويوضح معناه؛ مما جعل الخطيب القزويني يسوق للإيضاح غايته، ويوضح وظيفته في الكلام بأنه إنما يؤتى به "ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، أو لتكمل لذة العلم به"(١).

ومن أمثلة الإيضاح بعد الإبهام في صحيح القصص النبوي ما ورد في قصة أصحاب الغار الثلاثة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي – ﷺ – ، قال: "خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران ، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل

(١)الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ٣/ ١٩٦، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت).

ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم ... الحديث"(١).

ويتمثل الإيضاح بعد الإبهام في هذا الحديث في ذكر النفر الثلاثة مجملاً في صدر الحديث، ثم الشروع في ذكر الثلاثة تفصيلاً، وهذا له أثر في تقرير المعنى المراد وتوكيده؛ لأنه يعرض في صورتين: إحداهما مجملة حين ترد على النفس تتشوق إلى التفصيل..

فإذا ورد التفصيل بعد ذلك، وهو قوله "قال رجل منهم.." صادف نفساً ظمأى متعطشة إلى تمام المراد وتفصيل المجمل، فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات.

وهذه المقدمة المشوقة يبدو فيها إيضاح مفتتح القصة "خرج ثلاثة نفر يمشون.."، وما في ذلك من إيضاح للعجب الذي يدعو إليه حال النفر الثلاثة بعد أن انحطت عليهم تلك الصخرة.

ومن أبرز أساليب الإيضاح بعد الإبهام ما ورد في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً: ".. فانطلق حتى إذا نَصَف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط،

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٧٢، باب: حديث الغار، رقم الحديث: ٣٤٧، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له.."(١).

فالكلام – هنا– بني على الإيضاح بعد الإبهام بخروجه مخرج التقسيم؛ بذكر متعدد أولاً على سبيل الإجمال: "فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب"، ثم ذكر ما لكلٍ من هذا المتعدد ثانياً على سبيل التعيين: "فقالت ملائكة الرحمة..، وقالت ملائكة العذاب..".

وترى في هذا التقسيم – إلى جانب ما فيه من التوضيح بعد الإبهام الذي يؤكد المعنى ويقرره؛ لأن الكلام عرض معها في معرضين وبرز في صورتين تقرر إحداهما الأخرى– أنه يبرز ويصور – إلى جانب ذلك– شدة المنازعة التي وقعت بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في شأن هذا الرجل، وقوة حجة كل فريق منهما بقرينة سياق الكلام، فقد بعث الله من يحكم بينهم لفض تلك المنازعة، وإنهاء هذا الشقاق.

ولا يخفى أن في هذا الأمر – أيضاً– دلالة على شدة اختلاط الأمر على الملائكة والتباسه عليهم؛ ولا غرو في ذلك فهم خلق من خلق الله، لا علم لهم إلا ما علمه الله إياهم، كما أقروا بذلك وأذعنوا له في حكاية القرآن عنهم: "قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم". (البقرة: ٣٢)

ومن هذا القبيل – أيضاً– ما ورد في قصة أصحاب الأخدود والساحر، في الحديث الذي رواه صهيب أن رسول الله – ﷺ – قال: "كان

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١١٨، باب: توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث: ٢٧٦٦، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه – إذا سلك– راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى .. الحديث"[1].

فقوله "أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى" فيه إيضاح بعد إبهام لأنَّ الجملة الأولى أثارت في النفس تساؤلاً – بسبب ما يلفها من إبهام وغموض شفيق– لاشتمالها على حكم مجمل عام غير مبرهن؛ فجاءت الجملة الثانية لتقيم الدليل والبرهان على هذا الحكم، وأن الراهب إنما بنى حكمه السابق عن قناعة راسخة ويقين جازم، فتجيب عما عساه أن يكون قد وقع في نفوس المستمعين .

ومن الإيضاح بعد الإبهام – أيضاً– ما ورد في قصة الثلاثة من بني إسرائيل الذين أراد الله أن يبتليهم في الحديث الذي رواه أبو هريرة –

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٩، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والغلام، رقم الحديث: ٣٠٠٥.

رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: "إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن.."(١).

فالإجمال جاء أولاً في قوله - ﷺ - "ثلاثة في بني إسرائيل"، ثم جاء تفصيل الثلاثة مجملاً هو الآخر "أبرص وأقرع وأعمى"، دون أن يعزو إلى أي واحد منهم ما يتعلق به، ثم شرع في تفصيل ما يتعلق بكل واحد من الثلاثة في قوله "فأتى الأبرص فقال له..".

ومجيء الكلام على هذا النحو فيه إحكام وإتقان؛ حيث يشد بعضه بعضا ليجعل المتلقي يرمي ببصره إلى نهاية الأحداث وختامها، ويجعل ذهنه متقدا، ولا ينصرف لأمر آخر.

وهذا بدوره يؤدي إلى تقرير مضمون القصة وتمكينها في النفوس، وهو أن الابتلاء سُنَّةٌ جارية في الخلق، وأنها تكون في الخير والشر، وليس على المسلم إلا أن يوطد نفسه على الرضا والاستسلام والانقياد لأمر الله.

ولننتقل إلى موضع آخر من هذا النوع من الإطناب وذلك في قصة الرجل الذي سقى كلباً، فغفر الله له، وذلك من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب،

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٧١، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث: ٣٤٦٤.

فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر"[(١)].

فجملة "فإذا كلب يلهث يأكل الثرى" فيها بيان وتأكيد على شدة اللهث وبالغ العطش، وما آل إليه حال ذلك الكلب من التلعلع من العطش، فما ذاق شربة أنقع منها، ولا أنضح لغليل، ولا أبرد على كبد.

والتصوير بالفعل "يأكل" يخلع على المعنى مزيداً من التقرير والتوكيد؛ حيث يضع صورة الكلب – وهو على هذه الهيئة– بين يدي السامع كأنه يُرى ويُشاهد، وفي هذا تأكيد على عظم فعل الرجل، وشدة رحمته وشفقته، وهو ما جعله يحمل نفسه على المخاوف والمعاطب حتى ينضح عطش الكلب، ويشفي أوامه.

وأقوى برهان على ذلك ما ورد في كلام النبي – ﷺ – بعد ذلك أنه نزل البئر، وهذا دليل على أنها بئر عميقة، أغوارها بعيدة، ويؤكد ذلك – أيضاً– أن هذا الرجل أخذا الخف بفمه وصعد؛ مما ينبئ عن صعوبة التوقل والنزول.

ثم إن إمساك الخف بالفم مما يأنف منه أراذل الناس – فضلاً عن خاصتهم وسادتهم– مما يزيد الأمر صعوبة بالغة ومشقة مضنية، سيما إذا كان المسقي حيواناً مستقذراً؛ ومن ثم كان الجزاء عظيما "فشكر الله له، فغفر له".

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٧٦١، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة، رقم الحديث: ٢٢٤٤.

ومن لطيف هذا النوع من الإطناب ما ورد في فضائل موسى –عليه السلام– من حديث أبي هريرة أن النبي – ﷺ – قال: "كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى – ﷺ – يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا" فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربا بالحجر(١).

فالناظر في هذا الحديث يجد موضعين للإيضاح بعد الإبهام، أولهما في قوله "يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض"؛ حيث إن الجملتين بينهما شبه كمال اتصال، فالجملة الأولى أثارت في النفس سؤالا تقديره: كيف كانوا يغتسلون؟ فجاءت الإجابة: ينظر بعضهم إلى بعض؛ لتزيل هذا الإبهام.

فالجملة الأولى فيها غرابة من بعض الوجوه، هذه الغرابة تهمس في النفس بهذا التساؤل، ويؤيد ذلك ما جاء في رواية مسلم "ينظر بعضهم إلى سوأة بعض".

ولم يتركنا عبد القاهر نبحث عن وجه جزالة هذه الرابطة وبلاغتها في النفس وقوتها في الكلام، وإنما أومأ إلى ذلك إيماء ظاهراً، فقد أشار إلى أن الجملة الأولى تثير في النفس خواطر وهواتف، فتأتي الثانية مجيبة عن

(١) صحيح البخاري: ١/ ٦٤، باب: من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، رقم الحديث: ٢٧٨، وصحيح مسلم: ٤/ ١٨٤١، باب: من فضائل موسى عليه السلام، رقم الحديث: ٢٣٧١.

هذه الخوالج، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الجملة الأولى، وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل(١).

على أن الجملة الثانية – هنا– فيها نوع من التنفير – وإن كان جائزاً في شريعتهم– إلا أن هذا الأمر مما تأنف منه النفوس السليمة والفطر النقية.

وأما الموضع الآخر لشبه كمال الاتصال في تلك القصة فقد ورد في قول أبي هريرة – رضي الله عنه: "والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضربا بالحجر".

فجملة "ضربا بالحجر" تكشف عن شدة غيظ موسى – عليه السلام– وحنقه الشديد على تصرف الحجر، مع أن الله – تعالى– كمل أنبياء خَلْقا وخُلُقا، ونزههم عن المعايب والنقائص.

وإنما خاطبه لأنه أجراه مجرى من يعقل لكونه فر بثوبه، فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم الحيوان، فناداه فلما لم يطعه ضربه، وقيل: يحتمل أن يكون موسى– عليه السلام– أراد أن يضربه إظهارا للمعجزة بتأثير ضربه، ويحتمل أن يكون عن وحي لإظهار الإعجاز، ومشي الحجر إلى بني إسرائيل بالثوب – أيضاً– معجزة أخرى لموسى – عليه السلام(٢).

---

(١) راجع: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني: ٣١٤ وما بعدها، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني: ٣/ ٢٢٩، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

ومن هذا القبيل – أيضاً– ما ورد في قصة راعي الغنم الذي عدا عليه الذئب في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– أنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث" قال الناس: سبحان الله، قال النبي – ﷺ –: «فإني أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما»(١).

فالناظر في هذا الحديث يجد أن شبه كمال الاتصال تحقق بين جملتي: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟؛ فإن الجملة الأولى يكتنفها غيوم وظلال لطاف بسبب ما فيها من إبهام، تولد من عدم معرفة السامع بيوم السبع؛ كأنه قيل: ما يوم السبع هذا؟ فقيل: يوم ليس لها راع غيري.

وكأن الجملة الأولى كغير الوافية بتمام المعنى المنشود، فجاءت جملة البدل ليتم بها المعنى، ويكتمل بها المراد، ويتضح بها المبهم.

وقريب من ذلك – أيضا– ما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه، عن النبي – ﷺ – قال: "إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة – أو كلمة نحوها– ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم،

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٥، باب قول النبي – ﷺ – "لو كنت متخذا خليلا"، رقم الحديث: ٣٦٦٣.

فذكرت قول أخي سليمان: "رب هب لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي"، قال روح: «فرده خاسئاً»"(١).

فجملة "رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي" فيها إيضاح بعد إبهام؛ لوقوع هذه الجملة موقع البيان من الجملة التي قبلها " فذكرت قول أخي سليمان".

وبناء الكلام على هذا النحو من النبي – ﷺ – فيه إجلال وتوقير لسليمان – عليه السلام– الذي وهبه الله مُلْكاً لم يهبه أحداً غيره؛ حيث "كان يقرّن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد، وعن السدى: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع"(٢).

كما أن جملة الإطناب فيها دلالة على تكامل الأنبياء، وأنهم لا اختلاف بينهم ولا تنازع، كما يدعي المدعون ويذيعه الأفاكون الذين انغمسوا في الضلال، فلا يعملون عقولهم، ولا يودون الاستماع لصوت الحق، وليعلمن نبأه بعد حين.

ثم إن فيها – أيضاً– محوا لكل مظاهر الضلالة والتعصب؛ حيث إن هؤلاء المنحرفين كانوا يعتقدون أن الإيمان برسول لا يتم إلا مع الكفر بغيره، وأن تزكية أحد لا تتم إلا بالطعن في غيره، وهذه زلة في الأديان

(١) صحيح البخاري: ١/ ٩٩، باب: الأسير أو الغريم يربط في المسجد، رقم الحديث: ٤٦١.

(٢) الكشاف لجار الله الزمخشري: ٤/ ٩٦، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة– ١٤٠٧هـ.

والمذاهب والنحل والأحزاب والأخلاق، كانت شائعة في الأمم والتلامذة فاقتلعها الإسلام، وقضى عليها.

ولا يخفى من دلالة التركيب هنا ما يؤكد على عظيم أخلاقه – ﷺ – وحسن تواضعه، ولين جانبه.

ومن التفصيل بعد الإجمال في صحيح القصص النبوي ما ورد في قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ – ، قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت: من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، – قال: أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي – ﷺ – يمص إصبعه – ثم مر بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل"(١).

(١) صحيح البخاري ١٦٥/٤، باب: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا"، رقم الحديث: ٣٤٣٦.

فقوله – ﷺ – "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى.." فيه تفصيل بعد إجمال؛ حيث أجمل ذكر الثلاثة أولاً، ثم أخذ في تفصيل حال كل واحد منهم.

وإنما تجاوز الحديث عن عيسى – عليه السلام– لاشتهاره في هذا الأمر، فقد جاب بريد ذكره الآفاق، وذهب سمعه في الناس؛ أما قصة جريج والغلام الآخر فاستطرد إلى ذكر أمرهما وتفصيل أحوالهما.

وهذا موضع آخر من مواضع الإيضاح بعد الإبهام في الحديث الذي رواه جابر – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – ﷺ –: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت "قال الأعمش: أراه قال: «فيلتزمه»"(١).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أن قوله – ﷺ – "يجيء أحدهم" تفسير وبيان لقوله "أعظمهم فتنة"؛ لأن الفتنة لفظ عام؛ فهي في أصل معناها تطلق على الابتلاء والامتحان والاختبار.. فالفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار(٢).

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢١٦٧، باب: تحريش الشيطان وبعث سراياه، رقم الحديث: ٢٨١٣.

(٢) لسان العرب: ١٣/ ٣١٧ (فتن)، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

والتعبير بأسلوب الإطناب – هنا– يهدف إلى تقرير خطورة الشيطان، وبيان عظم عداوته للإنسان، وإنه ليتربصبه الدوائر، ويبغيه الغوائل، فينبغي علينا أن نكون على حذر منه في مجامع أحوالنا.

وفيه دلالة أخرى على خطورة الانفصام المجتمعي، والتفكك الأسري الذي يكون بالطلاق، وما يترتب عليه من إحن وعداوات، تمزق أواصر المجتمع المسلم، وهذه هي البيئة التي يعمل فيها الشيطان وينشط.

ومن بديع التفصيل بعد الإجمال ما ورد في قصة الرجل الذي كان بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ – قال: "بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه، يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه"(١).

فقوله – ﷺ – : "فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه.." فيه تفصيل بعد إجمال، طريقه التقسيم باستيفاء جميع أقسام الشيء.

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٨٨، باب: الصدقة في المساكين، رقم الحديث: ٢٩٨٤.

والإطناب – هنا– فيه تأكيد على حسن تصرف الرجل فيما يخرج من حديقته أو بستانه، ولا يترك الأمر للهوى أو يتصرف فيه خبط عشواء، كحاطب ليل أو جالب رجل وخيل.

كما أن فيه دليلاً – أيضاً– على ورعه وحسن تقواه؛ فهذا الرجل يقطر من شمائله ماء الكرم، صدق المعجم؛ بدليل أنه قدم الثلث الذي خصه للصدقة على الثلثين الآخرين؛ فهذا برهان ساطع على صدق إيمانه وسلامة طويته.

فالبذل والإنفاق أصعب شيء على النفس من سائر العبادات الشاقة ومن الإيمان؛ لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها، وتكليفها ما يصعب عليها، ذلت خاضعة لصاحبها، وقل طمعها في اتباعه لشهواتها.

وجملة الإطناب فيها دليل على أن الله – تعالى– قد قبل صدقته فاستحق أن يذكر اسمه في السحاب، وأن يكون له نصيب وافر من مائه، يسقي حديقته، ويربو عن حاجته.

ولننتقل إلى موضع آخر من مواضع التفصيل بعد الإجمال من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة – رضي الله عنهما، قال: قال النبي – ﷺ – : "بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان – وذكر: يعني رجلا بين الرجلين– فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا.. إلى أن وصل إلى قوله "ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار:

نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات.."[١].

فالمتأمل في قوله – ﷺ – " في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران.." يجد أن فيه تفصيلاً بعد إجمال، مبنياً على التقسيم – أيضاً؛ حيث ورد الكلام مجملاً في أول الأمر في قوله "أربعة أنهار"، ثم جاء التفصيل ثانياً في قوله "نهران باطنان، ونهران ظاهران"، ثم بنى على التفصيل تفصيلاً آخر خرج مخرج التقسيم؛ وذلك في قوله "أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات".

وإخراج الكلام هذا المخرج – من إجماله ثم تفصيله وتقسيمه– فيه مبالغة في تقرير المعنى وتوكيده، ليظل المتلقي أو السامع متعلقاً بآخر الكلام، منتظراً عقباه كيف تكون، فإذا وقف على التفصيل في قوله "نهران باطنان، ونهران ظاهران"؛ تمكن المعنى في نفسه واستقر في وجدانه.

والنص على أن النيل والفرات ينبعان من الجنة فيه إشارة إلى أن تلك البقاع ستكون حصناً للإسلام وملاذاً له، ونقطة ارتكاز ينطلق منها لنشر دعوته ورسالته.

وينضوي تحت هذا اللون من الإطناب ما ورد في قصة موسى والخضر في حديث أبي بن كعب: أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم، فقال: أنا، فعتب

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٠٩، باب: ذكر الملائكة، رقم الحديث: ٣٢٠٧.

الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك.."[1].

فجملة "وأوحى الله إليه" فيها نوع من الغموض والإبهام لأنها كغير الوافية بتمام المعنى المراد، فجاءت جملة "إن لي عبدا بمجمع البحرين.." لتبين هذا الإبهام وتكشف هذا الغموض.

وفي إخراج الكلام هذا المخرج تقرير وتوكيد لمضمون الكلام؛ لما يحدثه أولا من التشويق؛ بسبب أن النفس تتطلع – حين يرد عليها المبهم والغامض– إلى بيانه وتوضيحه، فإذا جاء البيان بعد هذا التطلع والترقب صادف نفساً يقظة متعطشة إليه، وهذا يعمل على تقرير المعنى وتوكيده، كما لا يخفى.

ولما فيه ثانياً من إخراج المعنى في معرضين وإبرازه في صورتين، تقرر إحداهما الأخرى وتؤكدها.

ومنه – أيضاً– ما ورد في قصة أيوب – عليه السلام– من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله – ﷺ – قال: إن نبي الله أيوب – ﷺ – لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: قد أصابه منذ ثماني عشرة سنة.. إلى أن وصل إلى قوله "..وكان يخرج إلى الحاجة فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٨٨، باب: "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين"، رقم الحديث: ٤٧٢٥.

ذات يوم أبطأت عليه، وأوحي إلى أيوب في مكانه أن {اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب} قال: فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله – ﷺ – هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذا كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران: أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله – تبارك وتعالى– سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض"[(١)].

فالتفصيل بعد الإجمال قد وقع في موضعين – هنا، أولهما ما ورد في قول زوج أيوب – عليه السلام: "هل رأيت نبي الله، هذا المبتلى؟، وأما الموضع الآخر فقد ورد في قوله – ﷺ – : "وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير".

فأما قوله "هذا المبتلى" بدل من الجملة المتقدمة عليها، كأن الجملة الأولى كغير الوافية بتمام المعنى المراد؛ فجاءت جملة البدل لتتم بها الفائدة وتفي بالمراد، وتؤكد على ابتلائه، وتقرر عظم إصابته.

---

(١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ): ١٣/ ٢٨، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، وراجع أيضا: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ): ٧/ ١٥٨، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

والإشارة إليه باسم الإشارة الموضوع للقريب فيه دلالة على شهرته في البلاء وذيوع أمره، واختصاصه بهذا المكان الذي سألت عنه فيه.

وأما قوله – ﷺ – : "أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فيه إشارة إلى سعة ثروته، وعظيم غناه، وتنوع ماله؛ فقد ذكر أبو حيان أن الله قد "استنبأه، وبسط عليه الدنيا، وكثر أهله وماله"(١).

ولننتقل إلى موضع آخر من مواضع الإيضاح بعد الإبهام في الحديث الذي رواه النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله – ﷺ – الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل.. إلى أن وصل لقوله "..ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحَرِّزْ عبادي إلى الطُّور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون.."(٢).

فالناظر في قوله – ﷺ – : "إني قد أخرجت عباداً لي.. ويبعث الله يأجوج ومأجوج.." يجد أن فيها إيضاحاً بعد إبهام.

وهذا النوع من الإطناب – هنا– فيه نوع من التشويق إلى بيان المبهم؛ فإن النفس حين يرد عليها قول النبي – ﷺ – : "قد أخرجت عباد لي.." مبهما تشتاق إلى معرفة كنه هؤلاء العباد والوقوف على حقيقة أمرهم؛

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي: ٧/ ٤٥٩، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٥٠، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

فإذا جاء قوله – ﷺ – : "ويبعث الله يأجوج ومأجوج.." اتضح هذا المبهم وتبين هذا الغامض.

ومعلوم أنَّ هذا من شأنه أن يقرر حقيقة يأجوج ومأجوج، ويؤكد انبعاثهم في الأرض يعيثون فيها إفساداً وخراباً وتقتيلاً.

وفي مظاهر إفسادهم وبيان عتوهم ذكر العلماء أقوالا متعددة منها ما أورده الزمخشري أنهم " كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذىً شديداً"(١)، وعن النبىّ – ﷺ – في صفتهم: "لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح"(٢).

---

(١) الكشاف: ٢/ ٧٤٦.

(٢)أخرجه ابن عدى، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والثعلبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة قال «سألت النبي – ﷺ – عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قال ابن عدى: هذا موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاش وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه فلم يصب، فان له طريقا أخرى، ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعا «إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفا»، وفي النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه رفعه «إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وفي المستدرك عن عبد الله ابن عمرو رفعه «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا».

وجاء الموضع الأخير للإيضاح بعد الإبهام في صحيح القصص النبوي في الحديث الذي روته عائشة – أم المؤمنين– أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله – ﷺ – من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه.. إلى قولها: "..كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.."(١).

فقد ورد الإيضاح بعد الإبهام في قوله "ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم.." لخروج الجملة الثانية مخرج السؤال عن جواب، أثارته الجملة الأولى لما لها من ظلال وغيوم رقاق، تدفع النفس إلى الوقوف على البيان والإيضاح والتفصيل.

وكأنَّ سائلا يسأل: ما سبب عدم إخزاء الله له؟ فجاءت الجملة التالية: إنك لتصل الرحم.. لتبين المبهم وتوضح الغامض، وتجيب عما عساه أن يكون وقع في أنفس المستمعين، وتقرر في الوقت ذاته هذه الحقيقة الراسخة وتؤكدها "حقيقة أن الله لن يخزي رسوله – ﷺ – أبداً".

والتعبير بأسلوب الإطناب – هنا– فيه إشارة إلى فضل أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– وجزالة رأيها، وهذه الخصلة جامعة لأفراد ما سبق وغيره، وإنما أجابته بكلام فيه قسم وتأكيد بـ"إن واللام" لتزيل حيرته

(١) صحيح البخاري: ١/ ٧، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – ﷺ –، رقم الحديث: ٣.

ودهشته، واستدلت على ما أقسمت عليه بأمر استقرائي جامع لأصول مكارم الأخلاق[١].

(١) راجع: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس، شهاب الدين القسطلاني، (المتوفى: ٩٢٣هـ): ١/ ٦٤، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

المحور الثاني

ذكر الخاص بعد العام وعكسه

المحور الثاني

ذكر الخاص بعد العام وعكسه

أولا: ذكر الخاص بعد العام:

اتفقت كلمة البلاغيين على أن ذكر الخاص بعد العام يكون لأغراض بلاغية متعددة ونكات بيانية متنوعة، منها التنبيه على كون الخاص أعظم وأهم بالذكر، أو التنبيه على فضل الخاص كأنه ليس من جنس العام، أو تكريم الخاص وتعظيم شأنه، وغير ذلك من الأغراض المبثوثة عند علمائنا في مصنفاتهم(١).

وتبلغ مواضع ذكر الخاص بعد العام في صحيح القصص النبوي **عشرة مواضع**، سنتناولها بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة لكشف شيء من أسرارها وسبر أغوارها.

وجاء الموضع الأول والثاني في قصة الكلمات الخمس التي أمر الله يحي بن زكريا أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن من حديث الحارث الأشعري – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – ﷺ – :

(١) راجع على سبيل المثال: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ٣/ ٢٠٠، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت)، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي: ١/ ٦٠٧، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، والإطناب في القرآن الكريم– دراسة بلاغية للدكتور/ مختار عطية: ٨٣، دار الجامعة الجديدة– الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

"إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن؛ وإن عيسى ابن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم؟ قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات، قال: فوعظهم، قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن. أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق"(١).

فقوله "خشيت أن أعذب أو يخسف بي" فيه ذكر للخاص بعد العام؛ فإن الخسف نوع من العذاب وجنس منه، لكنه أفرده بالذكر للتنبيه على مغايرته لجنس العذاب؛ لما له من أوصاف تجعله جنسا مغايرا للعذاب من الشدة والقوة، ولما فيه من دلالة على بالغ السخط ونهاية الغضب.

فالقرآن يقص علينا أنه لم يخسف إلا بأقوام بعينها، بلغوا في العتو والإجرام والكبر والخيلاء مبلغاً عظيماً، وهم أصحاب القرية "قوم لوط"، وقارون.

فأصحاب القرية لما قلبوا الفطرة قلب الله عليهم ديارهم انقلاب خسف حتى صار عالي البيوت سافلا، وقارون لما نفخ شدقيه، ومط حاجبيه،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٨/ ٤٠٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، وسنن الترمذي: ٥/ ٤٨، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

وشمخ بأنفه، وتبذخ على الناس بكثرة ماله وولده، وقال: إنما أوتيت ذلك على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس؛ خسف الله به وبداره الأرض ليكون عبرة وعظة لكل باغ متكبر ومتبذخ متجبر.

وأما الموضع الثاني في هذه القصة فقد ورد في قوله "وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل، اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق"، فتخصيص الذهب والورق بالذكر – هنا مع أنهما من جنس المال– فلأنهما أنفس الأثمان، وهما أصل التعاملات النقدية بين الناس، وبهما تقيم سائر المعاملات الأخرى.

وأما الموضع الثالث فقد ورد في حديث الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري، أن ناساً في زمن رسول الله – ﷺ – قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله – ﷺ – : «نعم» قال: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: "ما تضارون في رؤية الله – تبارك وتعالى– يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما.. إلى قوله "فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه"[(١)].

فذكر الخاص بعد العام ورد – هنا– في قوله "بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه"، ولعل التعبير به للتنبيه على أن مدار النجاة وعدمها متعلق بفعل الخير.

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٦٧، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث: ١٨٣.

وفيه دلالة – أيضاً– على تجردهم من سائر الفضائل ومن كل المناقب؛ فهؤلاء جديرون بما هم فيه من عذاب في النار، وأن خروجهم منها إنما هو محض رحمة وفضل.

وأما الموضع الرابع فقد ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي – ﷺ – قال: "إنَّ الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه.. فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم: ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟.."(١).

فالخاص بعد العام ورد في قوله " ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟"؛ لأن الشهادة من جنس القول، وإنما خصها لأن مبناها يكون على اليقين والجزم الذي ينبئ عن رسوخ الإيمان وقوة اليقين في القلب، ويتحقق هذا بامتثال جميع الأمر والنهي وحسن الاتباع.

ويأتي الموضع الخامس في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه: "أن رسول الله – ﷺ – أتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة.."(٢).

فقوله "أتي بلحم فرفع إليه الذراع" من ذكر الخاص بعد العام، والسر في مجيئه – هنا– لما علم من حاله – ﷺ – أنه كان يحب الذراع، ودليل هذا من السياق – أيضا– قوله "وكانت تعجبه"، وكان إعجابه لها ومحبته

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ٣٨١.

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ٨٤، باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا"، رقم الحديث: ٤٧١٢.

أكلها لنضجها، وسرعة استمرائها، مع زيادة لذتها، وحلاوة مذاقها، وبعدها عن مواضع الأذى(١).

فالتعبير فيه دلالة أخرى على طيب لحمها، وسهولة مضغها، ويسر استساغتها.

وورد الموضع السادس في حديث أبي هريرة، عن النبي – ﷺ – قال: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى:يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة.."(٢).

فالإخراج من الجنة نوع من الخيبة، وإنما ذكره لأن فيه مزيد اختصاص بالخيبة، فكل ما وقع من أمور وشؤون ونزل من ابتلاءات مترتب على الإخراج من الجنة؛ وكأن الإخراج من الجنة صار جنسا مغايرا لجنس الخيبة؛ ومن ثم صح عطفه عليه.

فآدم – عليه السلام– أوقع ذريته – من بعده– في الحرمان والخسران؛ لأنه كان سبب خيبتهم وإغوائهم بالخطيئة التي ترتب عليها إخراجه من الجنة، ثم تعرض ذريته لإغواء الشياطين، والغي، والانهماك في الشر.

وأما الموضع السابع فقد ورد في حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله – ﷺ – : "لله أفرح بتوبة أحدكم، من رجل خرج بأرض دوية – ثم قال أبو معاوية: قالا: حدثنا عبد الله حديثين: أحدهما عن نفسه، والآخر عن

---

(١)عمدة القاري: ١٥/ ٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ١٢٦، باب: تحاج آدم وموسى، رقم الحديث: ٦٦١٤.

رسول الله – ﷺ – مهلكة، معه راحلته، عليها زاده وطعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها، فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموت، قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه، فأموت فيه، قال: فرجع، فغلبته عينه، فاستيقظ، فإذا راحلته عند رأسه، عليها زاده وطعامه وشرابه، وما يصلحه"(١).

فالخاص بعد العام ورد – هنا– في قوله "عليها زاده وطعامه وشرابه"، وإنما خص الطعام والشراب بالذكر للتنبيه على أهميته؛ لشدة احتياجه إليه في هذه الأرض المقفرة، فقد كان في أرض دوية مسقمة مهلكة.

ولا يخفى أن حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب مقدمة على حاجاته الأخرى؛ لأن بها قوام حياته وسبب نجاته.

ويأتي الموضع الثامن في قصة إبراهيم – عليه السلام– مع زوج ابنه إسماعيل – عليه السلام– عندما جاء إبراهيم – بعدما تزوج إسماعيل– يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت نحن بشر، نحن في ضيق وشدة.."(٢).

فقول تلك المرأة "نحن بشر، نحن في ضيق وشدة" فيه ذكر للخاص بعد العام؛ لأن الضيق والشدة نوع من جنس الشر، وإنما خصتهما بالذكر لما لهما من أوصاف وصفات حتى كأنهما جنس مغاير لجنس الشر؛ وذلك للمبالغة في الدلالة على سوء الحال، ومشقة المعيشة، وصعوبة المؤونة، وكأنها ظنت أن هذا الرجل الذي يسأل عن حالهما سيطلب منها شيئاً.

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ١٣٥.

(٢) صحيح البخاري: ٤/ ١٤٢، باب: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: ٣٣٦٤.

ومما يؤيد هذا الكلام ما ورد في حديث أبي جهم: فقال لها: هل من منزل؟ فقالت: لاها الله إذا. قال: فكيف عيشكم؟ قال: فذكرت جهدا، فقالت: أما الطعام فلا طعام، وأما الشاء فلا نحلب إلا المَصْرَ، أي: الشَّخْب(١)، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ(٢).

فذكر الخاص بعد العام في هذا المقام فيه تعريض برد إبراهيم – عليه السلام– وعدم قبول ضيافته؛ وكأنها اشتمت من كلامه هذا الأمر؛ وبرهان ذلك تلك الرسالة التي تركها لابنه حين قدومه "فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه".

وأما الموضع التاسع فقد ورد في مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود، قال: "بينما رجل فيمن كان قبلكم، كان في مملكته، فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فتسرب، فانساب ذات ليلة من قصره، فأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به يضرب اللَّبِن بالأجر، فيأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك، حتى رقِيَ أمره إلى ملِكِهم، وعبادته وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبى أن يأتيه، فأعاد، ثم أعاد إليه، فأبى أن يأتيه، وقال: ما له وما لي؟.."(٣).

---

(١)الشخب: بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين وبباء موحدة: السيلان. راجع لسان العرب: ١/ ٤٨٥ (شخب).

(٢)عمدة القاري: ١٥/ ٢٥٨.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٧/ ٣٣٧.

فذكر الخاص بعد العام ورد في قوله "حتى رقي أمره إلى ملكهم، وعبادته وفضله"، وإنما خص العبادة والفضل بالذكر لأنهما كانا السبب في التفات الناس إليه وتعظيمهم وتوقيرهم له.

ثم إنَّ هناك ملمحاً آخر وهو غلبة العبادة والفضل على سائر أحواله وأموره كلها، حتى كأنه عرف بذلك بين الناس.

وأما الموضع الأخير فقد ورد في قصة المرأة التي دخلت النار في هرة من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– أن رسول الله – ﷺ – قال: "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"(١).

فقوله – ﷺ – "عذبت امرأة.. فدخلت فيها النار" من ذكر الخاص بعد العام، وإنما خصت النار من جنس العذاب بالذكر للتنبيه على أن عموم عذاب الآخرة منها.

وفيه دلالة – أيضاً– على أنها فاقت أجناس العذاب الأخرى في الشدة والإيلام وغير ذلك.

فهذه المرأة لما حبست الهرة – إلى أن ماتت الهرة جوعاً وعطشاً– استحقت هذا العذاب، فلو كانت سقتها لم تعذب، وهذه المعصية ليست صغيرة بل صارت بإصرارها كبيرة(٢).

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٧٦، باب: حديث الغار، رقم الحديث: ٣٤٨٢.

(٢) راجع: إرشاد الساري: ٤/ ٢٠٣.

ثانيا: ذكر العام بعد الخاص:

يرد العام بعد الخاص لتحقيق أغراض بلاغية منها: التنبيه على مزية المعطوف، والاهتمام بالخاص لذكره مرتين، وتفخيم شأن المعطوف وغير ذلك من الأغراض التي أحصاها رجال هذا العلم الشريف.

وقد استقريت **أربعة مواضع** ذكر فيها العام بعد الخاص في صحيح القصص النبوي، **وكان الموضع الأول** في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي – ﷺ – قال: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه.."[(١)].

فالمتأمل في قوله – ﷺ – "فعل الخيرات من الصدقة والصلة.." يجد أنه عام بعد ذكر الصلاة والصيام والزكاة، وهم من فعل الخيرات؛ وذلك للتنبيه على مزيد فضلهم، وغاية شرفهم، والنداء على قوة ركنهم في الدفاع والذب عن صاحبها، بمجرد أن يوضع في قبره، ويتولى عنه أهله.

وفي ذكر العام بعد الخاص –هنا – ملمح آخر وإشارة دقيقة، وهو الدلالة على وجوب المحافظة على تلك العبادات، وأدائها على الوجه الأكمل، فإنها من الأركان الخمسة للإسلام، وأهم دعائمه التي بني عليها، ولا يكون المرء مسلماً إلا بأدائها على الوجه الأكمل الذي أمر الله – تعالى– عباده به.

---

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ٣٨٠.

وأما الموضع الثاني فقد ورد في حديث أبي هريرة عن النبي- ﷺ - قال: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه.. إلى قوله ..ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرةً وثبوراً"(١).

فموضع الخاص بعد العام ورد في قوله "هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها"؛ لأن ما أعد الله لهم أمر عام يشمل فيما يشمل المقعد، وإنما خص أولاً ثم عم ثانيا ليدل على لزومه هذا المقعد، وعدم الانفكاك عن هذا الموضع أبداً.

ولا يخفى أن التعبير – هنا- فيه نوع من التيئيس والإقناط له أن يرفع عنه العذاب أو يبرح هذا المكان، بدليل ما عقب به في قوله "فيزداد حسرةً وثبوراً"، ففيها ما فيها من سخط الله عليه، وخسئه له، وإهانته إياه.

وأصل الإعداد: التهيئة، وفيه إشعار بأن هذا المقعد قد هيئ لهم وجعل عدّة لعذابه، فهذا تحذير وتنفير من النار وما يوقع فيها، بأنها معدودة لمثل هذا الكافر الذي أشرك بالله ورفض الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

وأما الموضع الثالث والرابع فقد ورد في حديث النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله – ﷺ – الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظننناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظننناه في

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ٣٨١، باب: ذكر الخبر المدحض: قول من زعم أن الميت إذا وضع في قبره لا يحرك منه شيء إلى أن يبلى، رقم الحديث: ٣١١٣.

طائفة النخل.. قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له.. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة "[(١)].

فقوله "فيؤمنون به ويستجيبون له" فيه ذكر للعام بعد الخاص، ولعل الغرض البلاغي لهذا التعبير أنه يشمل من يصدق به حقيقة، ومن يسلم ابتغاء المصلحة والمنفعة؛ اتقاء لشره ودرءاً لعذابه.

والاستجابة: إجابة الداعي، والسين والتاء للتوكيد، وأطلقت الاستجابة على امتثال ما يطالبهم به هذا الدجال من الكفر والمروق من دين الله؛ لأن استجابة النداء تستلزم الامتثال للمنادي فقد كثر إطلاقها على إجابة المستنجد، والمعنى: فيؤمنون به ويطيعونه ويمتثلون أمره.

وأما الموضع الرابع فقد ورد في قوله "فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم"، وإنما ذكر كل مسلم بعد ذكر "كل مؤمن" للدلالة على وضوح أمر الدجال وافتضاح تلبيسه وتدليسه، وعدم استشكاله على أحد، مؤمنا كان أو مسلما.

فالتعبير فيه قطع للعذر، وإقامة للحجة على الخلق، وبرهان ساطع على كذب الدجال فيما افتراه من النبوة أو الألوهية.

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٠، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

المحور الثالث

التذييل

المحور الثالث

التذييل

التذييل هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يحقق بها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله مما يتضمن زيادة في المعنى(١).

وقد كثرت التذييلات الواردة في صحيح القصص النبوي، وفيما يأتي سأتناول مواضعها بشيء من التفصيل لعلي أهتدي إلى أثر التعبير بالتذييل في تقرير المعنى.

فمن صور التذييل في الصحيح ما ورد في قصة الغلام والملك من حديث صهيب، أن رسول الله – ﷺ – قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه.. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي

(١) راجع: جوهر الكنز لنجم الدين ابن الأثير: ٢٤٤، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف– الإسكندرية، (د. ت)، والإيضاح مع البغية: ٢/ ٣٥٢.

أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.."[1].

فالناظر في قوله "إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله" يجد أنه إطناب في المعنى صورته التذييل الذي خرج مخرج المثل؛ لاستقلاله بالإفادة وإمكانية استغنائه عن الكلام السابق عليها.

والمقام – هنا– يقتضي هذا التأكيد؛ لأنه في الرد على معتقد جليس الملك أن الغلام يشفي الناس، ومقامات الرد تقتضي هذا التقرير والتأكيد.

وقرينة هذا إخراج الكلام مخرج القصر بـ"إنما" التي تستخدم في الأمر الذي لا يجهله المخاطب أو لما ينزل هذه المنزلة؛ كما قرر الإمام عبدالقاهر[2]، كأن إثبات الشفاء إلى الله – تعالى– ونفيه عن الغلام من الأمور الظاهرة المعلومة التي لا ينبغي أن تنكر، ولا تكون مسار تردد أو شك.

ومن التذييل ما ورد في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم

(١) صحيح مسلم: ٢٢٩٩/٤، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر، رقم الحديث: ٣٠٠٥.

(٢) راجع: دلائل الإعجاز: ٣٥١.

ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث"(١).

فقوله "ولكني خلقت للحرث" تذييل مقرر ومؤكد لمضمون الجملة السابقة عليها، وهي أنها لم تخلق لتحمل عليها أو لتركب، فليس هذا من مهامها التي سخرت عليها.

ولما كانت في البقرة منفعتان – الأكل والحراثة– ذكرت منفعة الحراثة لكونها أبعد في الذهن من منفعة الأكل، ولأن الأكل كان مقرراً عند الراكب، بخلاف الحراثة، بل ربما كان يظن أنها غير متصورة عنده، فنبهته عليها دون الأكل(٢).

ويندرج تحت هذا اللون من الإطناب – أيضاً– ما ورد في قصة إبراهيم – عليه السلام– مع جبار مصر "فإني لا أعلم في الأرض مسلماً"، وقوله في القصة نفسها "إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان"(٣).

أما قوله "فإني لا أعلم في الأرض مسلما" فهو تذييل مقرر ومؤكد لأخوة الإسلام التي جمعت بين إبراهيم وسارة، وهو تذييل غير جار مجرى المثل لعدم استقلاليته بالإفادة.

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٥، باب: قول النبي – ﷺ –: "لو كنت متخذا خليلا"، رقم الحديث: ٣٦٦٣.

(٢) راجع: عمدة القاري: ١٢/ ١٦١.

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٤٠، باب: من فضائل إبراهيم الخليل – عليه السلام، رقم الحديث: ٢٣٧١.

وقرينة ذلك خروج جملة التذييل مخرج العلة للحكم السابق "فإنك أختي في الإسلام"، والكلام المعلل يكون أبلغ وآكد من الكلام غير المعلل؛ لأن علة الحكم هي دليله المصحح له، وبرهانه المقتضي له في منطقه المستقيم.

وأما قوله "ولم تأتني بإنسان" فهو تذييل مقرر ومؤكد لمضمون ما قبله من قوله "إنما أتيتني بشيطان" لأنه في معناه، وهو غير جار مجرى المثل.

وهذا التذييل فيه دلالة على أن هذا الجبار قد أيس من النيل من سارة، ونفض يده من حصوله على مبتغاه منها؛ بدلالة قوله بعد ذلك "فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر"، فإنما ينبئ عن هذا المعني وينطق به.

ومن التذييل – أيضاً– ما ورد في قصة الكلمات الخمس التي أمر الله يحيى بن زكريا أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وذلك في قوله – ﷺ – : "..فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات.."(١).

فجملة "وقعد الناس على الشرفات" تذييل مقرر ومؤكد لمضمون الجملة قبله من قوله "حتى امتلأ"؛ لأن قعود الناس على المنافذ والشرفات إنما هو من امتلاء المسجد وغصه بهم، وعدم اتساعه للحاضرين، وهذا ينبئ عن شدة حرص القوم، وسرعة استجابتهم لما أمرهم به، وفيه دلالة على كثرة الأتباع، واحتشاد جمعهم، والتئام مشهدهم، كما لا يخفى.

(١) سنن الترمذي: ٥/ ١٤٨، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام، رقم الحديث: ٢٨٦٣.

ومنه ما ورد في قصة موسى والخضر من حديث أبي بن كعب عن النبي – ﷺ – قال: "قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه قوله.. فانسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر سربا.."(١).

فالمتأمل في قوله "فاتخذ سبيله في البحر سربا" يجد أنَّ فيها تأكيداً على انسلال الحوت من المكتل وتقريراً لعودة الحياة إليه، فالله – عز وجل– أمسك جرية الماء على الحوت، فصار كالطاق عليه معجزةً لموسى أو للخضر –عليهما السلام(٢).

كما أن في إمساك الله عن الحوت جرية الماء آية مشهودة لموسى– عليه السلام– وفتاه؛ زيادة في أسباب قوة يقينهما، ولأن المكان لما كان ظرفاً لظهور معجزات علم النبوة ناسب أن يحف به ما هو خارق للعادة؛ إكراماً لنزلاء ذلك المكان(٣).

فالحوت قد اتخذ طريقاً له من البر إلى البحر دخل فيه واستتر به، ودليل ذلك أن جملة التذييل قد أقيمت مقام السبب والعلة في الجملة السابقة.

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ٣٥، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، رقم الحديث: ١٢٢.

(٢) راجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: ٥/ ٢٣٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

(٣) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي: ١٥/ ٣٢، الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

وجملة التذييل فيها إيذان وإشعار بقرب تحقق مبتغاهما، من التقائهما بالعبد الصالح الذي جعل انسلال الحوت من المكتل، واتخاذ سبيله في البحر سرباً علامة عليه.

ومنه ما ورد في قصة بلاء أيوب – عليه السلام: "..قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان..".[(١)]

فقوله "وهو على أحسن ما كان" تذييل مقرر ومؤكد لمضمون الجملة قبله لأنه في معناه.

وفي التعبير بجملة التذييل دلالة – أيضاً– على أنه – عليه السلام– عاد إلى حالته الأولى وطبيعته التي كان عليها قبل أن يبتلى، وروي أنه لما قام "جعل يلفت فلا يرى شيئاً، مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى"[(٢)]، فقد آتاه الله ما ذُكر لرحمته به، وتذكرةً لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، فيُثابوا كما أثيب.

وهذا موضع آخر من مواضع التذييل في صحيح القصص النبوي من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال: إن أناسا في زمن رسول الله – ﷺ – قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله – ﷺ – : "نعم". قال: "هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ١٥٨.
(٢) تفسير أبي السعود: ٦/ ٨١.

ليس معها سحاب؟! "قالوا: لا يا رسول الله!. قال: "ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما.."(١).

فجملة "هل تضارون.." جملة مؤكدة لجملة الجواب "نعم"، وكذلك جملتا "ليس فيها سحاب- وليس معها سحاب" مقررتان ومؤكدتان لمضمون الكلام السابق عليهما؛ لأنهما في معناهما؛ فجملة "ليس معها سحاب" هي نفسها جملة "هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً.." في المعنى، وكذلك الجملة "ليس فيها صحو".

وبناء الكلام على هذا النحو مما يقتضيه مقام تأكيد الرؤية وثبوتها؛ لما قد يحوم حوله من الشبهات، وما قد يجابه به من إغراب واستنكار، فأكد الكلام دفعا لكل هذه الأمور، وتقريراً وتأكيداً على ثبوت الرؤية وحقيتها.

وكان التذييل ملمحاً بارزاً في حديث أبي هريرة قال: أتي رسول الله - ﷺ - يوما بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح"(٢).

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٦٧، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث: ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ٨٤، باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا"، رقم الحديث: ٤٧١٢.

فالتذييل قد تكرر في هذا الحديث ثلاث مرات، وذلك في قوله "ما لا يطيقون وما لا يحتملون"، وقوله "ألا نرى ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟"، وقوله "اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح".

والناظر في عبارات التذييل – هنا– يجد أنها مقررة لهول الموقف وعظم المقام وشدته، ومصورة لغاية الكرب الذي أحدق بالناس من كل جانب حتى بحثوا عن ملجإ للخلاص وطريق للنجاة.

فأهل الجمع يشاهدون من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها، ولا ريب أنه لم يتقدّم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله، نجانا الله من أهواله ورزقنا جناته.

ومن مواضع التذييل في صحيح القصص النبوي ما ورد في حديث أبي هريرة عن رسول الله – ﷺ –: "اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب"[(١)].

فجملة "ولم أبتع منك الذهب" تقرير وتوكيد لمضمون جملة "إنما اشتريت منك الأرض" لأنها في معناها.

وقد أراد بهذا التذييل أن يقرر ويؤكد على عدم أحقيته بجرة الذهب التي استخرجها من الأرض، وأنها ليست له، وإنما هي لصاحب الأرض الأصلي، وهذا من عظيم تقواه وشدة تحريه الحلال.

---

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٤٥، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم الحديث: ١٣٤٥.

ومن التذييل ما ورد في حديث النواس بن سمعان في حديث النبي عن الدجال: "..فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتُهم، أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم.."(١).

فقوله "ليس بأيديهم شيء من أموالهم" فيها تذييل للتأكيد على كونهم ممحلين، وتقرير إفلاس ذات أيديهم من أقل شيء من أموالهم.

ومجيء لفظ "ممحلين" في هذا المقام فيه تصوير دقيق لحالة الناس يومئذ؛ إذ المحل الجدب، وانقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلإ(٢).

فالتعبير بالإطناب – الذي طريقه التذييل فيه – دلالة – أيضاً– على عظم الابتلاء وشدة الفتنة التي يحدثها الدجال في الأرض، وحق للنبي – ﷺ – أن يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال(٣).

وهناك موضعان آخران للتذييل في قصة الجساسة من قوله – ﷺ – : "إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأنَّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٥٠، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

(٢) راجع: لسان العرب: ١١/ ٦١٧ (محل).

(٣) وذلك في حيث عائشة – رضي الله عنها– أنها قالت: سمعت رسول الله – ﷺ –: "يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال". صحيح البخاري: ٩/٦٠، باب: ذكر الدجال، رقم الحديث: ٧١٢٩.

عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمَّتْ لنا رجلاً فَرِقْنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.."[1].

فقوله "لا يدرون ما قبله من دبره" تذييل مقرر ومؤكد لكثرة شعرها وطوله، وفيه دلالة – أيضاً– على شدة التباس الأمر عليهم، واختلاطه في أفهامهم من طول شعرها وكثرته وغزارته.

وأما الموضع الثاني في القصة نفسها فقوله "مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد" تذييل مقرر لجملة "وأشده وثاقاً".

والتعبير بالتذييل – هنا– يشي بالمبالغة في تقرير شدة وثاقه، وتأكيد على إحكام رباطه، وأن الغل قد جمع أعضاءه كلها.

وهذا موضع آخر من مواضع التذييل في الحديث الذي رواه ابن عباس قال: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٢، باب: قصة الجساسة، رقم الحديث: ٢٩٤٢.

بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء.."(١).

فقوله "ليس بها ماء" تذييل مقرر ومؤكد لخلو مكة من الناس بسبب عدم وجود الماء؛ لارتباط الناس في أمور معاشهم وحياتهم بالماء، وهم يدورون مع وجوده وعدمه وجوداً وعدماً؛ فإذا وجد الماء وجد الناس، وإذا عدم الماء عدم الناس.

وجاء آخر موضع من مواضع التذييل التي استطعت استقراءها ما ورد في حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه– قال: كان رسول الله – ﷺ – مما يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأى أحد منكم من رؤيا" قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: "إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيَثْلَغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى.. فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط.."(٢).

---

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٤٢، باب: قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: ٣٣٦٤.

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٤٤، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث: ٧٠٧٤.

فالتذييل في هذه القصة ورد في قوله "لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء"؛ لأن هذه الجملة مقررة ومؤكدة لطول هذا الرجل، وأنه جاوز الحد في ذلك، فمضمون هذه الجملة هو نفسه مضمون الجملة السابقة "رجل طويل".

ولا يخفى ما في التعبير بجملة التذييل من زيادة في التأكيد على طوله، وأنه قد تجاوز الحد في ذلك؛ ولذا قال عقب ذلك: قلت لهما ما هذا؟ ولعل الظاهر أن يقول: من هذا؟ فكأنه – ﷺ – لما رأى حاله من الطول المفرط خفي عليه أنه من أي جنس هو: أبشر أم ملك أم غير ذلك؟[1].

(١) راجع: إرشاد الساري: ١٠/ ١٦٤.

المحور الرابع

التكرار

المحور الرابع

التكـــرار

التكرار والإعادة من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر– كما يقرر الثعالبي[(١)]، ويعد التوكيد – الذي هو من أبرز أغراضه– من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم، إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك[(٢)].

وجاء أول موضع من مواضع التكرار في صحيح القصص النبوي في الحديث الذي رواه أبو هريرة، عن رسول الله – ﷺ – : "كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى – عليه السلام– يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال: فجمح موسى بإثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر.."[(٣)].

فالتكرار في قوله "ثوبي حجر، ثوبي حجر" فيه نوع من التلهف في شدة الحرص على التستر؛ بدليل الإيجاز بالحذف –حيث حذف الفعل

---

(١) فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي: ٢٦٥، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) راجع: من بلاغة القرآن لأحمد بدوي: ١١٢، نهضة مصر– القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٣) صحيح مسلم: ١/ ٢٦٧، باب: جواز الاغتسال عريانا في الخلوة، رقم الحديث: ٣٣٩.

وحرف النداء، والتقدير: دع ثوبي يا حجر – لضيق المقام، وكأن الأمر لا يسعفه لذكر هذا المحذوف لحرصه على التستر.

وهناك نكتة بلاغية أخرى في هذا التكرار، وهي إلحاح موسى – عليه السلام– في هذا الطلب؛ ولذلك روي أن موسى طفق بالحجر ضرباً – ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً –[(١)]، وأنه لم يقصد التعري عند بني إسرائيل؛ لينظروا إليه، وإنما قدر الله له ذلك حتى يروه أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون وما آذوه به.

ومن التكرار ما ورد في قصة المعراج من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة – رضي الله عنهما: "..ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني – والله– قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراًً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراًً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع

(١) فتح الباري لابن رجب: ١/ ٣٣٠.

إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم"(١).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أن هذا الجزء من الحديث قد بني على تكرار جملتي "فارجع.." و"فرجعت.."، ولعل ذلك يشير إلى التأكيد على دراية موسى – عليه السلام– بالبشر وخبرته بطبائعهم، فقد مارس بني إسرائيل ولقي منهم الشدة فيما أراد منهم من الطاعة، ثم إنه قد لبث في قومه – قبل ذلك– مدة طويلة يدعوهم لعبادة الله ونبذ عبادة الأنداد، فما آمن له إلا ذرية من قومه.

وفي التكرار ملمح آخر، وهو الدلالة على تصوير مدى رحمة النبي – ﷺ – بأمته ورأفته بهم، وحرصه على التخفيف عنهم؛ لأن ما بعث به – ﷺ – سبب لإسعاد العالمين، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، ومن لم يغتنم مغانم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمة حقه.

ولا يخفى أنَّ في التكرار نوعاً من تقرير حدث الرجوع نفسه وتأكيد له، ومزيد اهتمام وعناية به؛ لارتباط أمر التخفيف به وتعلقه عليه، فالرجوع هو الحدث الأهم والغرض الأبرز الذي يدور عليه أمر الصلاة، تخفيفا وتيسيرا.

ومن التكرار ما ورد في قصة موسى والخضر من حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – ﷺ – : "قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال:

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٥٢، باب: المعراج، رقم الحديث: ٣٨٨٧.

يا رب! وكيف لي به؟ فقيل: احمل حوتاً في مكتل، فإذا فقدته، فهو ثم، فانطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً في مكتل.."[(١)].

فقوله "فانطلق، وانطلق معه فتاه" فيه تكرار، الغرض منه الدلالة على اختلاف المتعلق بالفعل، فالأول: موسى – عليه السلام، والثاني: موسى ومعه فتاه.

كما أن التكرار فيه نوع من الدلالة على تفاوت المرتبة وتغاير المنزلة بين موسى – عليه السلام– وبين الغلام، فموسى هو الذي بيده الأمر، وإليه يرجع موعد الانطلاق.

ثم إن هذا الإطناب يشير إلى وقوع الانطلاق من كل منهما، وفي هذا ما لا يخفى من الإيحاء بالجد والحرص، فكلاهما جاد في الأمر، حريص عليه، راغبا في الوصول لمبتغاه بتحقيق هدفه.

ومن المواضع البارزة في التكرار ما ورد في حديث ابن مسعود من قصة آخر من يدخل الجنة، قال رسول الله – ﷺ – : "آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول – الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها،

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٤٧، باب: من فضائل الخضر – عليه السلام، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها.."(١).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أنه بني على تكرار عدة جمل بعينها، هي: "رب، أدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها".

وهذا التكرار فيه برهان واضح على أن ابن آدم لا يقنع بالقليل، فقد استشرفت نفسه لهذا الأمر، وامتدت إليه عينه، واشرأبت إليه أطماعه، وتلك خصلة في بني البشر، وعادة اعتادوها، لا ينفكون عنها ولا تنفك عنهم.

وفيه دلالة – أيضاً– على شدة تفاوت النعيم في الجنة واختلاف منازل الناس فيها، وتفاوت العطاء الرباني، تبعاً لتفاوت الأعمال.

كما أنَّ فيه إشارةً على عظيم حلم الله وشدة إعذاره لبني آدم، ففي كل مرة يعطيه الله حاجته ويقضي له أمره ورجاءه.

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٧٤، باب: آخر أهل النار خروجا، رقم الحديث: ١٨٧.

ومن ذلك – أيضاً– ما ورد في حديث المغيرة بن شعبة، يخبر عن رسول الله – ﷺ – قال: "سأل موسى ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة، قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب.."(١).

جاء التكرار في هذه القصة في جملة "رضيت رب" ثلاث مرات، وكذا في قوله "ومثله" حيث تكررت أربع مرات.

وتكرار الجملة الأولى يشير إلى سعة العطاء الرباني، وأنه بلا حدود، وفوق التخيل – أيضاً، وليس نقض "هذا العبد، وتركه ما أقسم عليه جهلاً منه، ولا قلة مبالاة، بل عِلْماً منه بأن نقض هذا العهد أولى من الوفاء به؛ لأن سؤاله ربه أولى من ترك السؤال مراعاة للقسم"(٢).

وأما تكرار "ومثله" فيه دليل على نهاية التسليم، وتمام الإذعان، وغاية الرضا بما منحه الله هذا الرجل وحباه إياه من عطاء في الجنة؛ لأن هذا العطاء كان فوق تخيله وأعظم من تصوره، فإنه يأتي بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأخذهم منازلهم، وامتلائها حسب ظنه.

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٧٦، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: ١٨٩.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور/ موسى شاهين لاشين: ١/ ٦٢٢، دار الشروق– القاهرة، الطبعة الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

وهذا موضع آخر من مواضع التكرار ورد في قصة الرؤية، من حديث أبي هريرة "أن ناساً قالوا لرسول الله – ﷺ – : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟.. فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم، سلم،.."(١).

فقول الرسل – عليهم السلام: "اللهم سلم سلم" فيه تأكيد على شدة الخوف والحذر وبالغ الوجل من الانزلاق على الصراط، وتقرير لغاية الضعف والوهن، وأنه لا نجاة لأحد من الانزلاق على الصراط إلا من سلمه الله.

ولا يخفى أن الخيرية والإكرام للرسول – ﷺ – وأمته، فهو وأمته سيكون أول من يمضي على الصراط ويقطعه، ولعل سبب ذلك أنه لم يبعث نبي إلى الأمم كافة إلا محمد – ﷺ – ، فهو وأمته يدعون إلى الإيمان ويقاتلون العالم عليه، فهم خير الناس للناس.

ومنه ما ورد في حديث الجساسة: "..وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحداً – منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله – ﷺ – وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٦٣، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث: ١٨٢.

طيبة، هذه طيبة» – يعني المدينة– «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم، «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشأم، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو» وأومأ بيده إلى المشرق.."[(١)].

فقد ورد التكرار في هذا الحديث في موضعين، أولهما: "هذه طيبة، هذه طيبة"، والغرض منه هنا: التأكيد على كون طيبة هي المدينة، وتقرير أنها بمنأىً عن الدجال وفتنته.

ويؤيد هذا ما ورد في الحديث الآخر: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق"[(٢)].

وجاء الموضع الآخر في قوله "ما هو من قبل المشرق" حيث تكررت هذه الجملة ثلاث مرات، ولعل السبب في ذلك هو تأكيد النفي وتقريره، وأن هذا الدجال يخرج من قبل المشرق دون بحر الشام أو اليمن.

ومن التكرار – أيضاً– ما ورد في حديث عروة بن الزبير، أنَّ عائشة، زوج النبي – ﷺ – أخبرته أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله – ﷺ – من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٦٢، باب: قصة الجساسة، رقم الحديث: ٢٩٤٢.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٦٥، باب: قصة الجساسة، رقم الحديث: ٢٩٤٣.

جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}، فرجع بها رسول الله – ﷺ – ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.."(١).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أن الإطناب بالتكرار قد ورد في موضعين – أيضاً، وكان أول هذين الموضعين: "اقرأ.. ما أنا بقارئ" حيث تكرر هذا التركيب ثلاث مرات، وهو ما يؤكد على شدة تمسك كل واحد منهما بموقفه وثباته عليه.

كما أن أسلوب التكرار يشير إلى حرص أمين وحي السماء على تحقق مطلوبه الذي أرسل من أجله، وهو إقراء النبي– ﷺ – وإلحاحه في الطلب.

ثم إن التكرار فيه إيماء – أيضاً– إلى أن أمة النبي – ﷺ – ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم.

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٣٩، باب: بدء الوحي، رقم الحديث: ١٦٠.

وأما الموضع الآخر فقد ورد في قوله "زملوني زملوني"، وهو من التزميل وهو التلفيف، والتزمل: الاشتمال والتلفف، ومنه: التدثر، ويقال: لكل ما يلقى على الثوب الذي يلي الجسد دثار، وأصل المزمل والمدثر: المتزمل والمتدثر، أدغمت التاء فيما بعدها(١).

والتكرار – هنا– فيه تصوير لغاية لهفته – ﷺ – إلى سرعة تحقق مطلوبه، وتجسيد لشدة خوفه ورعبه، وقوة ارتجافه واضطرابه من هول ما صنع الملك به، حتى خشي على نفسه أن يحدث له مكروه.

ومنه ما ورد في حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه، قال: كان رسول الله – ﷺ – مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيَثْلَغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى» قال: "قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟"، قال: " قالا لي: انطلق انطلق.."(٢).

فقوله "انطلق انطلق" قد ورد ست مرات في سياق هذا الحديث، وهذا التكرار فيه زيادة تأكيد على حرصهما على تجاوز هذا المشهد على وجه

(١) راجع: لسان العرب: ١١/ ٣١١ (زمل).

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٤٤، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث: ٧٠٤٧.

السرعة، وألا يقف عنده طويلاً، أو يفكر فيه مليا، فهناك خطوب جسام أخرى وأمور عظام سوف يقف عليها.

ومن التكرار ما ورد في قصة الشفاعة من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله – ﷺ – قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها.. فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد – ﷺ – فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي.."[1].

فقوله "يارب أمتي أمتي" قد تكررت ثلاث مرات في سياق هذا الحديث، وهو ما يؤكد شدة حرص النبي – ﷺ – على أمته، ونهاية رحمته بهم، ورأفته عليهم، وأنه قد شغل بهم في هذا المقام عن نفسه، في الوقت الذي شغل فيه كل نبي بنفسه عن غيره.

وجاء آخر موضع من مواضع التكرار في صحيح القصص النبوي في حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله – ﷺ – "لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطةِ ابنةِ فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟، قال: بينا هي تمشط ابنةَ فرعون ذات يوم إذْ سقطتْ المدْرَى من

(١) صحيح البخاري: ٩/ ١٤٦، باب: كلام الرب – عز وجل– يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم الحديث: ٧٥١٠.

يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي!، قالت: لا، وَلكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أُخْبِره بذلك؟، قالت: نعم، فأخبرتْه، فدعاها، فقال: يا فلاَنة، وإن لك رَباً غيري؟، قالت: نعم، ربي وربُّك الله ... فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع.."[(١)].

فالتكرار في قوله "واحداً واحداً" فيه تأكيد على إلقائهم، وتفصيل لكيفية رميهم وإحراقهم.

كما أن هذا الإطناب فيه تشنيع للفعل وتفظيع له، فالرمي كان مرتباً ومنظماً، واضح المعالم، ظاهر الرسوم، لا تخالطه شبهة، ولا تعتريه لبسة، نتيجة عمل مدروس وممنهج، وليس كيفما اتفق، أو خبط عشواء.

ثم إنَّ هذا التكرار يشير إلى أن قلب فرعون أقسى من الحديد، وأصلب من الجلمود؛ فقد استرحمت منه غير راحم، واشتكت إلى غير مصمت؛ حيث لم يرحم تلك الأم المسكينة، ورمى أبناءها وفلذات أكبادها – أمام ناظريها– في الزيت واحداً تلو الآخر.

(١) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٣١.

المحور الخامس

الاعتراض

المحور الخامس

الاعتـراض

ورد الإطناب بالاعتراض في صحيح القصص النبوي في مواضع عدة، بصياغات متنوعة، وكان لكل موضعٍ غرضٌ خاصٌ يلائم المقام الوارد فيه، ويناسب سياق الحال.

وجاء أول هذه المواضع في قصة أصحاب الغار من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت –والقدح على يدي– أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما.."[(١)].

فقوله "والقدح على يدي" اعتراض بين جملة "فلبثت" وبين جملة "أنتظر استيقاظهما..".

(١) صحيح البخاري: ٣/ ٩١ ، باب: من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل، رقم الحديث: ٢٢٧٢.

وسر التعبير بهذا الاعتراض تأكيد غاية بره لوالديه، وحسن معاملته لهما، فهذا الرجل قد قام بما يجب من حقوق الوالدين؛ حيث كان معهما خافض الجناح، رضي الأخلاق، لين المهتصر.

كما أن في جملة الاعتراض إشارة إلى أنه لم يقدم في السقي عليهما أحد من أهله، مع تصايح الصبية بالبكاء وتصاغيهم عند قدميه – بسبب الجوع– حتى آذن الفجر بالجلاء، وانجلت عنه الشبهات، وخرج من ظلمات الغموض.

وأمر ثالث تشير إليه تلك الجملة، وهو التأكيد على أنه ظل ملازماً لهما، واقفاً عند رأسهما طوال الليل، وهذا من كمال البر وتمامه، ولو حذف هذا الاعتراض فقيل: "فلبثت أنتظر استيقاظهما.." لتلاشت كل هذه الدلالات والإشارات – كما لا يخفى.

ومن التعبير بالاعتراض في صحيح القصص النبوي ما ورد في قصة الغلام والملك وأصحاب الأخدود من حديث صهيب أن رسول الله – ﷺ – قال: "كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه.. إلى قوله: فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذره قد – والله– نزل بك حذرك، قد آمن الناس.."[1].

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٩، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر، رقم الحديث: ٣٠٠٥.

فجملة "قد – والله – نزل بك حذرك" اعتراض لتأكيد مضمون الكلام، وأن الأمر قد انتهى، وحسم الموقف وانقضى؛ بدليل التعبير بـ"قد والفعل الماضي"، وأنه لم يعد ثمت مجال لشبهة من شك أو تردد.

فالاعتراض يشير في الوقت ذاته إلى هذا الأمر الذي كان يحذره الملك، وهو إيمان الناس برب الغلام.

ثم إنها تلمح – أيضاً– باللوم والتأنيب والتعنيف للملك، بسبب تعامله الخاطيء مع الغلام، ومع الراهب، ومع الجليس.

ومنه ما ورد في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أنه قال: "كان جريج يتعبد في صومعة، فجاءت أمه، قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله – ﷺ – أمه حين دعته.. وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع". قال: فكأني أنظر إلى رسول الله – ﷺ – وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها.."[(١)].

فجملة "فكأني أنظر إلى رسول الله – ﷺ – وهو يحكي ارتضاعه.." جملة اعتراضية تؤكد على أن أبا هريرة – رضي الله عنه– قد سمع النبي – ﷺ – وهو يحكي القصة، وشاهده وهو يصور ارتضاع الصغير.

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٧٦، باب: تقديم بر الوالدين على التطوع، رقم الحديث: ٢٥٥٠.

وفي التعبير بالجملة الاعتراضية – هنا– من تقرير المعنى ما فيه؛ إذ إن التصوير بالحركة الجسمانية يلفت الانتباه، ويوقظ الأذهان، ويجذب النفوس للإقبال على ما يقال، ويجعلها تأنس به، وتقبل إليه وتتقبله ولا تنفر منه، وهذا غرض أسمى وغاية عظيمة للإشارة بتلك الحركة.

وهذا موضع آخر من حديث أبي هريرة، عن النبي – ﷺ – قال: "بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب، فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود – عليهما السلام، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى"(١).

فموضع الإطناب بالاعتراض ورد في قوله "يرحمك الله"، ويفيد هذا الاعتراض الدعاء لسليمان – عليه السلام– حتى لا يشق الولد بالسكين، وتزداد تلك الأم حسرة على حسرتها.

وفي الاعتراض نوع من الاستعطاف والتلطف في الطلب؛ ولذلك فقد قضى سليمان بالولد للصغرى لما رآه من جزعها، الدال على عظيم شفقتها، ولم يلتفت إلى إقرارها أنه ابن الكبرى؛ لأنه علم أنها آثرت حياته بخلاف الكبرى.

ومن الاعتراض – أيضاً– ما ورد في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله – ﷺ – قال: "قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٤٣، باب: بيان اختلاف المجتهدين، رقم الحديث: ١٧٢٠.

فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية؟ لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر، فينفق مما أعطاه الله".(١)

فقوله "اللهم لك الحمد" – التي تكررت ثلاث مرات– فيها نوع من التنزيه والتأكيد والدعاء، وأن هذا الرجل قد سلم وفوض ورضي بقضاء الله، فحمد الله على تلك الحال لأنه المحمود على جميع الحال، لا يحمد على المكروه سواه، وقد ثبت أن النبي – ﷺ – كان إذا رأى ما لا يعجبه قال: اللهم لك الحمد على كل حال(٢).

كما أنَّ هذه الجملة قد تشير – أيضا– إلى عدم الرضا، بوقوع الصدقة في غير موقعها؛ بدليل قوله بعد ذلك: "على سارق.. على زانية.. على غني"، فقوله "اللهم لك الحمد" أي: لا لي؛ لأن صدقتي وقعت بيد من لا يستحقها، فلك الحمد حيث كان ذلك بإرادتك، أي: لا بإرادتي، فإن إرادة الله كلها جميلة.

---

(١) صحيح البخاري: ٢/ ١١٠، باب: إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، رقم الحديث: ١٤٢١.

(٢) راجع: فتح الباري لابن حجر: ٣/ ٢٩٠.

ومنه ما ورد في قصة بلاء أيوب – عليه السلام– من قوله "..أتعلم – والله– لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد.."(١).

فقد جاء الاعتراض بالقسم في قوله "أتعلم – والله – لقد.." للتأكيد على مضمون الخبر وتقريره؛ لأنه مما ينكر ويدفع بشدة؛ بدلالة سياق الكلام بعده من قوله "فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له".

فهذا الكلام فيه دليل على عدم اقتناعه بكلام صاحبه، وعدم تصديقه له؛ ومن ثم أخبر أيوب – عليه السلام– به.

ومنه ما ورد في حديث أبي موسى الأشعري عن قصة عجوز بني إسرائيل، قال رسول الله – ﷺ – : "إن موسى حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عنه الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا؟ قال: فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف – عليه السلام– حين حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا، فقال موسى: أيكم يدري أين قبر يوسف؟ فقال علماء بني إسرائيل: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل فأرسل إليها موسى فقال: دلينا على قبر يوسف، قالت: لا – والله–حتى تعطيني حكمي، فقال لها: ما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة"(٢).

فالاعتراض جاء بالقسم في قوله "لا – والله– حتى تعطيني حكمي" للتأكيد على طلبها، والدلالة على شدة حرصها على أن تكون معه في الجنة.

---

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ١٥٨، ومسند أبي يعلى الموصلي: ٦/ ٢٩٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٢/ ٤٣٩، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

وشتان بين ما طلبته تلك العجوز وما طلبه هذا الأعرابي الذي استضاف الرسول – ﷺ – فأكرم وفادته، فطلب منه الرسول – ﷺ – أن يأتيه ليجزيه بالإحسان إحساناً، فإذ بهذا الأعرابي يطلب ناقة برحلها لركوبه، وأعنزاً لأهله يقتاتون بحليبها.

وجاء آخر موضع للاعتراض من المواضع التي أحصيتها في صحيح القصص النبوي من حديث أبي هريرة، أن رسول الله – ﷺ – قال: "كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع"، قال: "فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت – والله إذن– ملك الموت، مرحباً بأمر الله.."[(١)].

فالاعتراض الذي في قوله "أنت – والله إذن– ملك الموت" للتأكيد على أن هذا الرجل القائم وسط الدار المغلقة إنما هو ملك الموت.

وفي التعبير بالاعتراض – هنا– نوع من تأنيس النفس وطمأنتها؛ لأن الأمر مخيف ومفزع، فهو متعلق بملك الموت الذي لا يهاب الملوك، ولا يمتنع منه شيء.

(١) مسند الإمام أحمد: ١٥/ ٢٥٤.

المحور السادس

الاحتراس

المحور السادس

الاحتـراس

حـد البلاغيـون الاحتـراس بأنـه يـؤتى بـه فـي كـلام يُـوهم خـلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم(١).

وقـد اسـتقريت خمسـة مواضـع للإطنـاب بـالاحتراس فـي صـحيح القصص النبوي، **وجاء أول هذه المواضع** في قصة أصحاب الغار الثلاثة من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما، عن النبي – ﷺ – قال: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.. اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها"(٢).

فقد احترس بجملة "غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها" عن توهم غير المراد؛ إذ قد يقع في الوهم – لو حذفت هذه الجملة– أن هذا الانفراج – الذي حدث مع دعاء الأول– يمكنهم من الخروج، فجاءت جملة الاحتراس لتنفي هذا الوهم، وتؤكد على عدم قدرتهم على الخروج من هذا الانفراج.

---

(١) راجع: المطول لسعد الدين التفتازاني: ٤٩٨، وشروح التلخيص: ٣/ ٢٣١.

(٢) صحيح البخاري: ٩١/٣، باب: من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل، رقم الحديث: ٢٢٧٢.

ومن شأن الاحتراس – هنا– أن يدفع بالمتلقي إلى متابعة هذه القصة وترقب أحداثها حتى النهاية؛ لأنه لو حذف الاحتراس، ووقع هذا الوهم في النفس لأدى ذلك للانصراف عن متابعة القصة حتى نهايتها.

فلا معنى يرتجى ولا هدف يبتغى من متابعة القصة بعد حل عقدتها المتمثلة في استطاعتهم الخروج من الغار؛ وبذا تفقد القصة قدرتها على الإقناع والتأثير، والإثارة والجاذبية – أيضاً.

كما أن جملة الاحتراس فيها إبراز لقيمة العمل الصالح والإخلاص فيه، وأنه المخلص من الأزمات والخطوب والمنجي من الكروب والشدائد، وأن ذلك بمجموعه وتعانق بعضه مع بعض.

وأما الموضع الثاني فقد ورد في حديث أبي بن كعب أنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "قام موسى – عليه السلام– خطيباً في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك.. فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها.."[1] .

فقول موسى: "بغير نول" فيه احتراس، قصد به دفع توهم غير المراد، وهو أن يكون الحمل بعطاء وأجرة.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٤٧، باب: من فضائل الخضر – عليه السلام، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

وهذا الاحتراس مقصود إليه قصدا للمبالغة في تشنيع خرق السفينة وتفظيع هذا الأمر؛ لأن حملهم إياهما بغير مقابل أدعى للمحافظة على السفينة وعدم عيبها؛ ليكون الجزاء من جنس العمل، وعلى وفقه ولفته.

ولا يخفى أن هذا الإطناب فيه دلالة على شدة امتعاض موسى من خرق السفينة وعيبها؛ ولذلك ذكر أن الخضر لما قلع لوحين من ألواح السفينة مما يلي الماء، جعل موسى يسد الخرق بثيابه.

وورد الموضع الثالث من مواضع الاحتراس في حديث أبي هريرة عن – النبي – ﷺ – قال: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه.. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً.."[(١)].

فموضع الاحتراس في قوله "لو عصيته"؛ فإنما جيء بهذه الجملة لدفع توهم غير المراد، فإن قوله "ثم يفتح له باب من أبواب النار.." قد يوهم خلاف المراد، فجاء قوله "لو عصيته" ليدفع هذا الوهم ويزيله، ويؤكد على تنعم هذا العبد في أعالي الجنان ويصور عظيم سروره – أيضاً.

ثم إن هذا الاحتراس يوضح – أيضا– البون الشاسع والهوة العميقة بين جزاء المؤمنين وما أعده الله لهم في جنات النعيم، وبين مآل الكافرين وما ينتظرهم من صنوف العقاب وألوان العذاب؛ ليزداد المؤمن إيمانا ويشتد

(١) صحيح ابن حبان: ٧/ ٣٨١.

حرصه على مرضاة ربه، ويرتدع الكافر المعاند ويرجع عن غيه، حتى لا يندم ولات ساعة مندم.

وأما الموضع الرابع من مواضع الاحتراس فقد ورد في قصة الجساسة من حديث فاطمة بنت قيس – أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول– أنها سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية.. نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها.."[(١)] .

فقوله "حين اغتلم" – أي: صادف سفرنا ورحلتنا اغتلام البحر، أي: هيجانه وتجاوزه حده المعتاد– فيه احتراس لدفع توهم غير المراد، من أن البحر صادفهم وقت هدوئه وسكونه، أو صادفهم بخيره وعطائه.

فجاءت هذه الجملة لتدفع هذا الوهم وتقرر – أيضاً– أن ذلك كان وقت اضطرابه وهيجانه، وتؤكد على اشتداد أمره حتى لعب بهم الموج شهراً.

فمصادفتهم البحر حين تلاطمه وتموجه يشير إلى صعوبة الموقف من هول ما أصابهم، وشدة ما أحاط بهم، فقد اجتمع عليهم نوازل شتى: وحشة ركوب البحر، ولعب الموج بهم شهراً، والدابة الأهلب كثير الشعر الذي لا يدرون ما قبله من دبره – من كثرة الشعر، انتهاء بأعظم إنسان رأوه

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٦٢، باب: قصة الجساسة، رقم الحديث: ٢٦٤٢.

قط – خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

وورد الموضع الخامس في قصة هاجر ورضيعها إسماعيل – عليه السلام– من حديث ابن عباس: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم.."[(١)].

فالمتأمل في قوله "حيث لا يرونه" يجد أن فيها احتراساً يدفع توهم رؤية هاجر ورضيعها لإبراهيم – عليه السلام.

ووراء الاحتراس – هنا– ما وراءه من إخلاص الدعاء وتمحضه، وفيه دلالة – أيضاً– على شدة حرصه عليهم وخوفه أن يصيبهم في هذا المكان سوء؛ حيث إنه واد مقفر، فلم يكن هناك بيت ولا بناء ولا زرع ولا ماء، وليس فيه أنيس كذلك.

---

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٤٢، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: ٣٣٦٤.

المحور السابع

التتميم

المحور السابع

التتميم

التتميم – كما قرر قدامة بن جعفر – هو أن يذكر الشاعر المعنى، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به(١).

وسمي بذلك لأن "مغزى الكلام لا يتم إلا به، فينكشف جوهر الكلام والقصد منه، وتنجلي صفاته وأحواله، ولو أنك طرحت هذه الألفاظ التي تدل على التتميم، لكانت الألفاظ تامة في دلالتها على المعنى، إلا أنها تقصر عن إيصال المغزى المقصود من وراء هذا المعنى"(٢).

وقد ورد التتميم في صحيح القصص النبوي **في ثلاثة مواضع**، وكان **أولها** ما جاء في قصة أيوب – عليه السلام– من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – ﷺ – قال: "بينما أيوب يغتسل عرياناً، خر

(١) راجع: نقد الشعر لقدامة بن جعفر: ١٤٤، مكتبة الكليات الأزهرية– القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٢) فن البلاغة للدكتور/ عبد القادر حسين: ٢٠٢، مطبعة الأمانة– القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

عليه رِجْل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك"(١).

فموضع التتميم في هذا الحديث في قوله "عرياناً"، ويشير هذا الإطناب إلى التأكيد على جواز أن يغتسل الإنسان وحده عريانا، وأنه لا حرج عليه في ذلك.

ثم إن هذا التتميم يلمح من طرف خفي إلى عظيم فضل الله وبالغ نعمائه على عبده ونبيه أيوب؛ فبعد أن عافاه الله من المرض وهبه هذا الجراد العظيم من الذهب، والذي يحتاج أداة لجمعه ونقله فيها، فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه، ويأخذ الذهب بيديه، ويجعله في ثوبه، وكلما امتلأت ناحية نشر ناحية.

ولا يخفى ما في هذا الأمر من جواز استكثار الغني من الغنى بنية الإنفاق، وأن المؤمن إذا رأى فضل الله – تعالى– نازلًا عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً ويكون ناوياً بذلك أنه لا يشبع من رحمة الله كما قال أيوب، فإن الله – سبحانه– لا يحب من عبده أن يرد عليه فضله(٢).

وأما الموضع الثاني فقد ورد في قصة إبراهيم – عليه السلام– مع جبار مصر من حديث أبي هريرة، أن رسول الله – ﷺ – قال: "لم يكذب إبراهيم النبي – عليه السلام– قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله:

---

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٥١، باب قول الله تعالى: "وأيوب إذ نادى ربه إني مسني الضر"، رقم الحديث: ٣٣٩١.

(٢) راجع: الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة (المتوفى: ٥٦٠هـ): ٧/ ٣١٤، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن– القاهرة، ١٤١٧هـ.

إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك.."(١).

فعبارة "وكانت أحسن الناس" فيها إطناب طريقه التتميم، وهذا التتميم هو الذي تدور عليه القصة بعد ذلك، وتتولد منه.

كما أن هذا التتميم فيه نوع من المبالغة في امتداحها والثناء عليها، بتأكيد شدة حسنها، وجمال مظهرها ومخبرها.

وإيثار أحسن دون أجمل – هنا– للدلالة على أن سارة جمعت إلى حسن المظهر حسن المخبر، وإلى جمال الشكل والهيئة جمال الخلق.

وأما الموضع الثالث فقد ورد في حديث أبي هريرة "أن رسول الله – ﷺ – أتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة.."(٢).

فقوله "وكانت تعجبه" فيها تتميم لما علم من حاله – ﷺ – أنه يحب الذراع من اللحم.

وفي التعبير بالتتميم – هنا– دلالة على طيب لحمها، وسهولة مضغها، ويسر استساغتها، فقد ذكر أن إعجابه– ﷺ– للذراع ومحبته لها

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٤٠، باب: من فضائل إبراهيم الخليل – عليه السلام، رقم الحديث: ٢٣٧١.

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ٨٤، باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا"، رقم الحديث: ٤٧١٢.

لنضجها، وسرعة استمرائها، مع زيادة لذتها، وحلاوة مذاقها، وبعدها عن مواضع الأذى[1].

(١) راجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٥/ ٢٢٠.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في بلاغة البيان النبوي، أستطيع أن أجمل شيئاً من النتائج التي توصلت إليه الدراسة فيما يأتي:

أولاً: كان للإطناب – بصوره المختلفة– أثرٌ بارز ودور واضح في تقرير المعنى المراد في صحيح القصص النبوي، الموجه إلى المسلمين الذين آمنوا بمبدعه – ﷺ – وصدقوه قولاً وعملاً.

ثانياً: يمثل الإطناب رافدا من الروافد التي تسعى لتحقيق الغاية الدينية العليا للمضمون التعليمي للخطاب النبوي في الحديث الشريف عبر أروع الأشكال الفنية، ووفق الأداء اللغوي الصريح، والإيحاء التعبيري الرفيع.

ثالثاً: كثر ورود الإيضاح بعد الإبهام كثرة لافتة في صحيح القصص النبوي، وهذا أمر يرجع إلى طبيعة الأسلوب القصصي؛ لأن الإبهام مفعم بالإثارة للمتلقي وموقظ لفكره، فيتطلع إلى إيضاح ما أبهم، وعندئذ يأتي الإيضاح فيتقرر المعنى في ذهن هذا المتلقي ويقع موقعه.

رابعاً: ورد ذكر الخاص بعد العام وعكسه لأغراض بلاغية متعددة، أهمها: التنويه بشأن الخاص، والتنبيه على مزيته وزيادة فضله.

خامساً: ورد التكرار في صور متنوعة لإبراز المعنى وتأكيده وتقريره في النفوس، ويمثل هذا الأسلوب وسيلة من وسائل الدعوة؛ إذ كان النبي– ﷺ – يستعمله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، فيرى ضرورة توكيدها، وترسيخها في الأذهان.

سادساً: لم أهتد إلا لموضعٍ واحدٍ فقط للتذييل الجاري مجرى المثل، أما التذييل غير الجاري مجرى المثل فقد استقريت مواضع كثيرة له، وقد حقق الغرض الذي يرمي إليه وينشده بالتأثير الحي الخلاق والمطلوب في جمهور المتلقين.

سابعاً: للاعتراض في البيان النبوي بلاغة خاصة تختلف عن بلاغته في الشعر أو النثر، تعكس أغراضا خاصة تتبدى من خلال سياق القصة النبوية والمقام الوارد فيه.

ثامناً: كشفت الدراسة دور "التتميم" في تجلية بلاغة البيان النبوي، غير أنني لم أستقر إلا ثلاثة مواضع لهذا النوع من الإطناب في صحيح القصص النبوي، إلى غير ذلك من النتائج المبثوثة في ثنايا هذا البحث، والتي لا تخفى على كل متأمل.

وبعد، فالله أسأل التوفيق والسداد والنفع والرشاد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أهم المصادر والمراجع

– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس، شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية– مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

– الإطناب في القرآن الكريم– دراسة بلاغية للدكتور/ مختار عطية، دار الجامعة الجديدة– الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

– الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن– القاهرة، ١٤١٧هـ.

– الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، (د.ت).

– الإيضاح وبهامشه بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

– البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

– التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

- جوهر الكنز لنجم الدين ابن الأثير، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف- الإسكندرية، (د.ت).

- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- شروح التلخيص، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت، (نسخة مصورة عن دار الإرشاد الإسلامي- القاهرة ١٩٠٤م).

- صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت).

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

– عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (د.ت).

– فتح الباري لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة– بيروت ١٣٧٩هـ.

– فتح الباري لابن رجب، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة النبوية، ومكتب تحقيق دار الحرمين– القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

– فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق– القاهرة، الطبعة الأولى (لدار الشروق) ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

– فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

– فن البلاغة للدكتور عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة– القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

– الكشاف لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ.

– لسان العرب لابن منظور، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

– المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

- المطول- شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

- من بلاغة القرآن لأحمد بدوي، نهضة مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.

- نقد الشعر لقدامة بن جعفر، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.